الشَّاعِرْ

كتبت في ٢٩ يوليه سنة ١٩٥٠

شَفَّهُ الْفِكْرُ وَأَضْنَاهُ السَّأَمْ ... هَيْكَلٌ يُسَبِّحُ فِي تِيهِ الظُّلَمْ
اتَّخَذَ اللَّيْلَ مِدَادًا .. وَانْحَنِي .. ... فَوْقَ قِرْطَاسٍ وَدِيعٍ وَقَلَمْ
وَنَأَى عَنْ كُلِّ نَادٍ وَسَرَى ... فِي رِحَابٍ .. لَمْ تَسِر فِيهَا قَدَمْ
سَابِحًا فِي كُلِّ أُفُقٍ هَائِمًا ... يَجِدُ اللَّذَّةَ فِي طَعْمِ الْأَلَمْ
وَالَّذِي بِالْفَنِّ هَامَتْ نَفْسُهُ ... عِنْدَهُ الْبُؤْسُ لَذِيذٌ وَالنِّعَمْ

* * *

نَامَتْ الدُّنْيَا وَأَغْفَى أَهْلُها ... وَهُو فِي الْكَوْنِ وَحِيدٌ لَمْ يَنَمْ
وَطَوَى اللَّيْلُ بِبُرْدَيْهِ الْوَرَى ... غَيْرَ نَفْسٍ هَمُّهَا فَوْقَ الْهِمَمْ
نَبَذَتْ كُلَّ نَدِيمٍ عَابِثٍ ... وَتَسَامَتْ عَنْ كُؤُوسٍ لَمْ تَدُمْ
وَبَغَتْ كُلَّ شُمُولٍ خَلَّدَتْ ... وَنَدَامَى كُلُّ مَنْ فِيهِمْ عَلَمْ
إِنَّمَا الشَّاعِرُ إِنْسَانٌ لَهُ ... نَفْسُ صُوفِيٍّ بَرِيءٍ لَمْ تُصَمْ
وَفُؤَادٌ عَبْقَرِيٌّ خَالِدٌ ... لَيْسَ قَلْبُ الشِّعْرِ مِنْ لَحْمٍ وَدَمْ

* * *

قُلْتُ وَاللَّيْلُ عَجُوزٌ أَشْيَبُ ... وَسَنَا الْفَجْرِ جَنِينٌ لَمْ يَتِمْ
وَنَسِيمُ اللَّيلِ يَسْرِي خِفْيَةً ... بَيْنَ أَعْطَافِ الدَّيَاجِي وَالظُّلَمْ
وَيَدُ الْفَجْرِ تُوَارِى خَمْرَهَا ... فِي كُؤُوسٍ كُلُّ كَأسٍ مَخْتَتَمْ
وَصِغَارُ الطَّيرِ تَدْعُو أُمَّهَا ... بِنَشِيدٍ حَالِمٍ حُلُوِ النَّغَمْ

وَخَرِيرُ الْجَـدْوَلِ السَّاهِي صَحَا ... وَغُصُونُ الْبَانِ نَشْوَى فِي كَرَمْ
وَثِيَابُ اللَّيلِ يَطْوِيهَا السَّنَا ... عَـنْ بِحَـارٍ وَجِـبَـالٍ وَقِـمَـمْ
وَيَـدُ الْخَـلَّاقِ تَمْحُو آيَـةً ... رَاعَهَا الصُّبْحُ وَدَارَاهَـا الْعَدَمْ
لِتَـخُـطَّ الْآيَـةَ الْـكُـبْرَى على ... هَامَةِ الْمَشْرِقِ مِنْ غَيْرِ قَلَمْ
أَيُّهَا السَّابِحُ فِي بَحْـرِ الدُّجى ... شَاطِئُ النُّورِ بَدَا الْآنَ .. فَقُمْ
وَارْحَمِ الْقِرْطَاسَ قَدْ ضَاقَ بِمَا ... بَـيْنَ جَنْبَيْهِ سُطُورًا .. وَبَـرِمْ
وَأَرِحْ نَفْسَكَ مِمَّا حَمَلَتْ ... مِـنْ سُـهَـادٍ وَعَـذَابٍ وَسَقَمْ
وَتَـرَفَّـقْ بِـيَـدٍ واجِـفَـةٍ ... وَكِـيـانٍ مُـتَـدَاعٍ مُـنْـهَـدِمْ
وَجُـفُـونٍ ذَابِـلَاتٍ شَفَّهَا ... أَلَمُ السُّهْدِ .. وَقَلْبٌ مُضْطَرِمْ
وَبِـعَـيْـنَـيْنِ وَصَـدْرٍ مُنْحَنٍ ... كَادَتْ الْأَنْـفَـاسُ فِيهِ تَنْعَدِمْ

* * *

فَـتَـنَـاسَـانِي كَـأَنِّي لَـمْ أَكُـنْ ... وَطَـوَى الْطِّرْسَ بَطِيئًا ثُمَّ هَمّ
وَرَنَـا بَـعْـدُ بِـطَـرْفٍ حَـائِـرٍ ... دَلَّ عَمَّا حَمَـلَ الْجِـسْـمَ وَنَـمّ
ثُمَّ قَـالَ: الصُّبْحُ يَا صَاحِ أَتَى ... قُلْتُ: يَا هَائِمُ فِي الْكَوْنِ نَعَمْ
ضِعْتَ فِي دُنْيَاكَ حَتَّى لَمْ تَعُدْ ... تُـدْرِكُ الْآنَ ضِيَاءَ مَنْ ظَلَمْ
لِـمَ تَـشْـقَى وَالدُّنَـا فِي لَذَّةٍ ... وَتُعَانِي .. وَالْـبَرَايَـا فِي نِعَمْ؟
قَالَ: كَيْمَا يَجْتَنِي مِنِّي الْوَرَى ... ثَمَرَ السُّهْد فُنُونًا وَحِكَمْ
ظَنَّنِي النَّـاسُ سَعِيدًا مُتْرَفًا ... وَحَـيَـاتِي كُلُّ مَـا فِيهَا أَلَـمْ
حَكَمَ اللهُ بِـأَنْ أَحْيَا لَكُمْ ... قَبَسًا يَهْدِي الْحَيَارَى فِي الظُّلَمْ